تحية لابن سينا

في ذكرى ميلاده الألفية

السيد ممثل رئيس الجمهورية

السادة الوزراء ـ ايها الحفل الكريم

يحدثنا الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا وهو يترجم سيرته الذاتية التي رواها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني[1] ، حديثَ نشأته فيقول : « إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ[2] ، وانتقل الى بخارى[3] في أيام نوح بن منصور[4] ، واشتغل بالتصرف وتولي العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها : خَرْمَيْثَنْ[5] ، من ضياع بخارى ، وهي من أمهات القرى . وبقربها قرية يقال لها : أَفْشَنَةَ[6] ، وتزوج أبي منها بوالدتي ، وقطن بها وسكن ، ووُلِدْتُ له بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا الى بخارى[7] ، وأُحضرتُ معلم القرآن ، ومعلم الأدب ، وأكملتُ العشر من العمر ، وقد أَتيتُ على القرآن ، وعلى كثير من الأدب ، حتى كان يُقضى مني العجب ... »[8] . وعلى هذا النمط من البيان مضى الشيخ الرئيس يقصُّ بكلماته السهلة العذبة ، لا تزويق فيها ولا تهويل ، سيرة حياته ، والعلوم التي ثقفها ، وأحكم دراستها في صباه وصَدْر شبابه ، ليذكر من بعدُ الكتب التي ألَّفها ،

---

* أقام المجلس الأعلى للعلوم مهرجانا في اسبوع العلم العشرين ، احتفاء بذكرى مولد ابن سينا الالفية .

وهذا نص الكلمة التي القاها الدكتور شاكر الفحام في رحاب جامعة دمشق (السبت ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ / ١ تشرين الثاني ١٩٨٠ م) وافتتح بها المهرجان .

والمدن التي تنقل فيها • وتابع أبو عبيد الجوزجاني[٩] سيرة أستاذه من حيث توقف ، ووصف الأحوال التي تقلب فيها الشيخ الرئيس ، وتطوافه في الآفاق ، عزيزاً مكرماً ذا سلطان تارة ، ومتوارياً خائفا ، أو سجينا ، او متنكرا هاربا تارات أخرى ، وبيّن الفرص العزيزة ، والخلس النادرة التي أتيح فيها للشيخ أن يدرّس ويملي ويقرأ عليه تلاميذه ، وعـرض الملابسات التي ألّف في ظلالها الشيخُ تصانيفـه الشهيرة الكثيرة ، حتى أكمل الصورة بجملة ملامحها •

إن سيرة الشيخ الرئيس على وَجازتها غنيّةٌ موحية حافلة بكل ما يستوقف مطالعها • يروعك أول ما يروعك في هـذه السيرة ذكاءُ ابن سينا المتوقد ، ومواهبه الفذة ، عبقريته ملء إهابه ، لا أحد يفري فريّه • تعلم القرآن والأدب وهو ابن عشر سنين ، وتعلم حساب الهند ، واشتغل بالفقه ، وتردد فيه على إسماعيل الزاهد[١٠] ، حتى ألف طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عـادة القوم بـه [١١] ، ثم ابتـدأ بكتاب ايساغوجي على الناتلـي [١٢] • وأحكم المنطق ، وكتاب أقليدس [١٣] ، وانتقل الى المجسطي ، قرأها جميعاً على نفسه ، وفهمها ، واستمرّ على طريقته يعلّم نفسه ويثقفها ، يقول : « وصارت أبـواب العلوم تنفتح عليّ ، ثـم رغبتُ في علم الطب ، وصرتُ أقرأ الكتب المصنفة فيه • وعلمُ الطب ليس مـن الأمور الصعبة ، فلا جرم أنني برّزت فيه في أقلّ مدة •••وتعهدتُ المرضى ، فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف »[١٤] • ولمـا بلغ ست عشرة سنة كان قد ألمّ بما شاء مـن العلوم • وكانت نجابته وزكانته وفطنته قد لفتت إليه الأنظار منـذ عهد مبكر ، حتى ان الناتليّ نصح لوالده ألا يشغله بغير العلم[١٥] • ثم توفّر ابن سينا على القراءة والعلم سـنة ونصفـا ، يدرس ليلـه

ونهاره دائباً لا يتوقف ، ولا يعرف طعم الراحة ، حتى أحكم علم المنطق والعلم الطبيعي والعلم الرياضي ، وانه ليقول قولة الواثق : « وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن ، لم أزدد فيه الى اليوم »(١٦) . وسنحت لابن سينا الفرصةُ النادرةُ حين مرض سلطان بخارى نوح بن منصور مرضاً أعيا الأطباء ، فدُعي ابن سينا لمعالجته ، وشارك في مداواته ، مما هيأ له آن يتقرب من السلطان ، وأن يسأله الإذن له في دخول دار كتب السامانيين الشهيرة ،ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب . يقول ابن سينا : « ورأيتُ من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ، ولا رأيته أيضاً من بعد . فقرأتُ تلك الكتب ، وظفرتُ بفوائدها، وعرفتُ مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغتُ ثمنان عشرة سنة من عمري ، فرغتُ من هذه العلوم كلها . وكنتُ اذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلا فالعلم واحد ، لم يتجدد لي بعده شيء »(١٧) . « كان [نظرنا] أيام انصبابنا على العلم ، وانقطاعنا بالكلية اليه ، واستعمالنا ذهننا ، أذكى وأفرغ لما هو أوجب »(١٨). ألا تذكرنا هذه الكلمات بهمسة شيخ المعرة أبي العلاء رهين المحبسين وهو يكتب لخاله في رسالة له : « ومنذ فارقتُ العشرين من العمر ماحدَّثتُ نفسي باجتداء علم ، من عراقيٍّ ولا شآمٍ . من يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشدا »(١٩) . ألا تراودنا خاطرة" تلح علينا ، لا نملك لها ردّا ، تريد أن تقول لنا ، ألا ترون أن يسمَّى هذا القرنُ بحق قرن العباقرة الأربعة : ابن سينا والمعري والبيروني وابن حزم ؟

ثم يروعك من ابن سينا هذا الدأب والصبر ، لا يعرف الملل ولا ينزل بساحته الضجر ، يذكر عن نفسه حين توفر على العلم فيقول :

« وفي هذه المدة ما نمتُ ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلتُ في النهار بغيره »[٣٠] . وقرأ كتاب ما بعد الطبيعة[٣١] ، فالتبس عليـــه غرض واضعه ، ولم تستبن لـــه مقاصده ، وعسر عليه العلم الالهيّ فلـــم يسأم ولم يتبرم ، بل انكبّ على كتابه يعيد قراءته أربعين مرة ،حتى صار محفوظاً له ، فلما وقع بيده كتاب أبي نصر الفارابي في أغـــراض كتاب ما بعد الطبيعة انفتحت له مغاليـــق الكتاب ، وأدرك معانيـــه ومراميه [٣٢] . أي جهد جاهد بذلـــه ابن ســـينا في صبـــاه وشبابه لتكتمل أداته العلمية ، ويستوفي حظه من المعرفة ؟

ولعل الأمر اللافت حقاً في سيرة الشيخ هذه الصورة التي تتجلى لك فيها الحضارة العربية الزاهرة ، راسخة الجذور ، باسقة الفروع ، ممتدة الجوانب ، تظلّل بجناها الطيب هذه البقعة الواسعة من الأرض ما بين سور الصين شرقاً الى جبال البرانس في الغرب ، قد تعـــددت مساراتها ورفدتها روافد مختلفة نوّعتها ولوّنتها ، ولكنها جميعهـــا تمتح من معين واحد ، معين العربية والقرآن ، يوحّد تنوعها ،ويؤلف مختلفها . ها هوذا ابن سينا الفتى الناشيء في بخارى ، فيمـــا وراء النهر شرقاً ، يبدأ تعلمه بقراءة القرآن ودراسة الأدب ، ولا يخـــالف عن طريقته في التعلم الناشئون في أقصى بلاد الأندلس غربا . انهـــا النهج اللاحب المتبع في التعليم في كل البقاع التـــي أظلتها الحضارة العربية ، وأضفت عليها سدولها ، ينشأ أبناؤها جميعا على عروبـــة اللسان ، ووحـــدة الثقافة في منطلقاتها وأسسهـــا ، فـــاذا أنت وثيق الصلة بكل بلدٍ قصدت ، وشيج القرابة لا تحسُّ غربة أنّى اتجهت . هاهوذا ابن سينا ينتقل حين دعته الضرورة الى الارتحال عن بخارى ، فيقصد الجرجانية (كركانج) قصبة بلاد خوارزم[٣٣] ، ثم ينتقل الى نســـا فباورد (وهي أبيورد) فطوس ، ويستمر في ترحله الى بلاد

شتى حتى يبلغ جاجرم ، رأس حدّ خراسان[٢٤] ، ومنها الى جرجان[٢٥] . وبعد أن يريح قليلاً يطوّف من جديد ، وينتقل الى الريّ فقزوين فهمذان ، ثم يستأنف الرحلة الى اصفهان[٢٦] ،يتحدث ويعلّم ويملي على تلاميذه ويؤلف الكتب باللغة العربية المبينة ، لغة العلم والحضارة في كل أرجاء هذه الرقعة الواسعة من الأرض . أي وحدة ثقافية وثيقة جمعت الأفكار والقلوب لتشارك جميعاً في صنع هذه الحضارة العظيمة ، ولتخلف هذا التراث النفيس ، تبارت فيه أقلام العلماء والأدباء ، وقد تخيرت اللغة العربية لسانا لها تعبر به عن أغراضها ومقاصدها .

* * *

ولد الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا في سنة ٣٧٠ هـ[٢٧] ، والدولةالسامانية في أيامها الأخيرة، قد استبدّ بها الضعف ، وبغداد عاجزة تئنّ تحت وطأة الديلم المغتصبين وعسفهم ، وقد كثر المنتزون الثائرون ، ينتزع كلّ منهم مملكة لنفسه ، يحوطها بسيفه وأعوانه ، حتى يُديل منه غاصبٌ آخرأقوى منه . وبدت القاهرة الفاطمية بجيشها الفتيّ وشعارها المذهبيّ خصماً منافسا لا يغلب ، تؤرق بغداد وتخيفها ، قد بثّتْ دعاتها وأنصارها حتى بلغوا أقصى المشرق . ألم يحدثنا ابن سينا نفسه في سيرتهفقال: « وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ، ويعدّ من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم ، وأدرك ما يقولونه ، ولا تقبله نفسي ، وابتدؤوا يدعونني ايضاًاليه، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند »[٢٨] .

ولم يكن بـــدٌ من أن يجرّ هذا الوضع السياسي الذي تحكّمت فيه المطامع ، واستأثرت بأصحابه الأهواء ، ألـوان الفساد ، تنطلق فيه النزوات جامحة ، وتتفلت الغرائز من إسارها ، ويشتدّ الجشع ، وتبرز الأَثَرَةُ والمصلحة الخاصة ليتوارى من أمامهما التعاون والتضافر ، وتنحل الروابط الاجتماعية .

كان ابن سينا في الثالثة عشرة من عمره (سنة ٣٨٣ هـ) حين فرّ نوح بن منصور الساماني من عاصمته بخارى أمـام هجمة بغراخان التركي ، ثم أسعفه الحظ لا القوة في استرجاع سلطانه والعودة الـى دار ملكه[٢٩] . وشهد ابن سينا ، وهو الذكيّ الفطن ، مساوىء مـا يجري على الساحة السياسية ، وتبدى له ضعف السامانيين وتخاذلهم واختلال ملكهم وانصرافُ الناس عنهم ، « وماج الناسُ بعضهم في بعض » ، حتى انقرضت دولتهم سنة ٣٨٩ هـ[٣٠] ، وكان ابن سـينا آنذاك في نحو التاسعة عشرة من عمره .

وبدأ ابن سينا تناجه العلمي والفكري مبكرا . ألّف في السابعة عشرة من عمره كتاب معتصم الشعراء في العـروض ، وألّف وهو في الحادية والعشرين من عمره (سنة ٣٩١ هـ) كتاب المجموع ، أتى فيه على سائر العلوم سـوى الرياضي [٣١] ، وألف كتـاب الحـاصل والمحصول ، في قريب من عشرين مجلـدة ، وكتاب البرّ والإثم في الأخلاق ، مجلدتان[٣٢] . وفقد ابن سينا أباه وهو في الثانية والعشرين من عمره[٣٣] ، واضطرته الدواعي ان يهجر بخارى ليضرب في الأرض . وليس من همنا أن نتتبع ابن سينا في رحلته وتقلبه ، فقد أغنتنا عـن مثل ذلك كتب التراجم التي تابعت حركته في حلّه وترحاله ، وانما يعنينا من ذلك أن ابن سينا قد خالف عن سُنّة أسلافه الحكماء ، فلم يقصر نفسه على الدرس والمطالعة ، ولم ينقطع للعلم والتعليم[٣٤] ، بل تطلع

الى حياة ناعمة مترفة ، تتيح له جاه السلطة ، ومتعة اللذة ،فتقرب الى سلاطين زمانه ، وولي الوزارة مرة بعد مرة ، ودفع ضريبة ذلك تخفياً حينا ، وفراراً حينا ، وسجنا حينا • لم يكن قادراً على مدافعة مطامحه ورغباته ومناعمه • أتراه كان يتشوف الـى المناصب ، ويتطلع الـى السلطة ليزاوج بين النظر والعمل ، بين المثل العليا والواقع ، ليجعل معرفته في خدمة مجتمعه بدل أن تظلّ حبيسة الكتب ، ويخرج من تلك العزلة الصمّاء التي طالما لفّت العلماء بجلبابها ؟ مهما يكن فقـد كان تلاميذ الشيخ الرئيس ومحبوه وعارفو فضله في جزع مقيم ، وهم يرون الشيخ تتنازعه الأعمال ، وتتناهبه المشكلات فتحول بينه وبين التفرغ للعلم والإفادة • وكانوا يفتنّون في سؤاله ومتابعته لينصرف الى التأليف والإملاء والتعليم • كانوا يدركـون عبقريته وتفوقه ، وكانوا حراصاً ألا تتبدّد مواهبه وطاقاته في أشغال الوزارةوأشباهها، وهو الذي أُوتي سعة من العلم والمعرفة ، وحَلِيَ من وافر الذكـاء والموهبة بما أفرده بين أقرانه ونظرائه • وكانوا يرون في الشيخإهمالاً وتهاوناً بما أملاه وألّفه ، لا يعنيه أن تعبث به يد الحدثان فيفقـد أو يضيع ، أو أن يستأثر به إنسان فرد لا يخرجه لينتفع به سواه • ولعل كلمة أبي عبيد في مطلع كتاب الشفاء انما هي نفثة المصدور ، تعبّرُ عما كان يخالج نفوس المطيفين بابن سينا من تلاميذه ومريديه • قال : « وقد كان بلغني من خبره أنه مهر في هذه العلوم وهو حدث لم يستو به الشباب ، ولا أربى على العِقْدين من العمـر ، وأنه كثير التصانيف ، إلا أنه قليل الضنّ بها ، والرغبة في ضبط نسخها ،فحقّقت رغبتي في قصده وملازمته ، والالحاح عليه ، والالتماس منه أن يهتمّ بالتصنيف ، وأهتمّ بالضبط • فيمّمتُه وهو بجرجان ، وسنه قريب من اثنتين وثلاثين سنة ، وقد بلي بخدمة السلطان والتصرف في عمله، وقد شغل ذلك أوقاته ، فلا أتنهز إلا الفرص الخفاف ، واستمليتهفيها

شيئاً من المنطق والطبيعيات ، واذا دعوته الى التصانيف الكبار ، والى الشروح أحال على ما عمله من الشروح ، وصنفه من الكتب في بلاده، وقد كان بلغني تفرقها وتشتتها ، وضنّ من يملك نسخة منها بهـا . وأما هو فلم يكن من عادته أن يخزن لنفسه نسخة ، كما لم يكن من عادته أن يحرّر من الدستور ، أو يخرج من السواد ، وانما يملي أو يكتب النسخة ويعطيها ملتمسها منه . ومع ذلك فقد تواترت عليـه المحن ، وغالت كتبه الغوائل ، فبقيتُ معه سنين ، أتنقل فيها من جرجان الى الريّ ، ومن الريّ الى همذان . وشُغل بـوزارة الملك شمس الدولة[٣٥] ، وكان اشتغاله بذلك حسرة علينا ، وضياعاً لروزجارنا . وكان قد وهن الرجاء ايضـا في تحصيل تصانيفـه الفائتـة »[٣٦] . وانتدب تلميذه البارُ أبو عبيد يلتمس منه ، يستعطفه ، يحركه للتأليف والكتابة ، يقول ، وكان الشيخ الرئيـس في صحبة شمس الدولة بهمذان ، « ثم سألته انا شرح كتب ارسطا طاليس فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن قـال : ان رضيت مني بتصنيف كتابٍ أُورد فيه ما صحّ عندي من هـذه العلـوم بلا منـاظرة مع المخالفين ، ولا اشـتغال بالرد عليهـم فعلت ، فرضيتُ به . فابتدأ بالطبيعيات من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الأول مـن القانون ، وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنتُ أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان يقرأ غيري من القانون نوبة[٣٧] ، فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم ، وهُيىء مجلس الشراب بآلاته ، وكنا نشتغل به ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمةً للأمير ، فقضينا على ذلك زمنا ... »[٣٨] . وأعود فأحيلك على فاتحة كتاب الشفاء التي سطرها أبو عبيد لترى : أي محبة وأي حنان وأي إشفاق وأي حرص أحاط الطلاب به أستاذهم وسيدهم ، ضنّاً به أن تستهلكه الوزارة ومجالس الملوك ، وحفزاً له ان يوالي التعليم والتأليف ، ولقد

نجحوا فيما قصدوا له ، وبلغوا ما أمّلوا ، وخلّف لنا ابن سينا تلـك الكنوز الثمينة التي ما زالت تزكو على مرّ الأيام[٣٩] .

* * *

يفجؤك في ابن سينا ، وهو الذي قضى شطراً طيباً من حيـاته في صحبة الملوك والأمراء ومجالستهم ، غزارةُ نتاجـه ، وتنوّعه ، وإحاطته ، وابتكاره . ويبهرك في ابن سينا قدرته الفائقة لا تحدّ في سرعة التأليف مع التجويد والإتقان .

لقد أحصى الأب جورج شحاتة قنواتي في عام ١٩٥٠ مؤلفات ابن سينا ، فبلغ بها ستة وسبعين ومائتي كتاب[٤٠] ، ولعله لم يستوف في إحصائه كلّ ما ألّفه الفيلسوف العظيم . ومن الحـق أن لابن سينا رسائل ومؤلفات صغيرة ومختصرات ، ولكن من الحق أيضا أن لـه مؤلفات مبسوطة كل البسط ، تقدم لك إحاطة بالموضوع شاملة تامة ، تلخص لك المعرفة الانسانية حتى عصر ابن سينا ، لتضمّ اليها نظرات الفيلسوف الحكيم التي أدّتـه اليهـا مشاهداتـه وتجاربه وبصيرته النـافذة .

ان السمة الأساسية في ابن سينا أنه كان من اولئـك العباقرة الموسوعيين ، لم يقف همته علـى علم واحد برأسه . كانت إحاطتـه بالعلوم شاملة ، وكان شغفه بالمعرفة لا حدودَ له ، درس فأوعب ، وجمع فأوعى ، وواتته موهبة مسعفة ، وحافظة قوية ، وذكاء نادر ، وعقل نيّر متفتح ، فـاذا هو يضع مؤلفات في شتى العلوم التي عرفها عصره ، بلغت الغاية في دقتها وعمقها واستيعابها وتقصيهـا ، لم يكتف فيها بتحرير الموروث وتهذيبه بل كان يضيف مسائل غفل عنها الأولون ،

ويذكر اشياء لم يسبق اليها • ألّف في الطب ، وألّف في الفلسفة بكل أبوابها المعروفة في عصره على سعتها وتعددها ، والّف في الدين والزهد والتصوف والعشق ، وألّف في الكيمياء والأسرار وتأويل الرؤيـا ، وألّف في الفلك ، وألّف في تدبير الجند وخراج الممالك ، والف في الموسيقى ، وألّف في اللغة والنحو ، وألّف القصص واصطنع فيهـا الرمز ، وكتب الرسائل على طريقة ابن العميد والصـابىء والصاحب تدليلاً على اقتداره ، وقال الشعر الجميـل • « هو البحـر من أي النواحي أتيته » • وصفه شارحه نصير الدين الطوسي فقال : « كان مؤيداً بالنظر الثاقب ، والحدس الصائب ، موفقاً في تهذيب الكلام ، وتقريب المرام معتنيـا بتمهيد القواعد ، وتقييد الأوابد ، مجتهداً في تقرير الفوائد ، وتجريدها عن الزوائد »[٤١] • وتحدث عنه تلميـذه أبو عبيد ، وكان في مجلس أستاذه شبه مريد ، لا شبه تلميذ مستفيد، حديث المتعجب من ذكاء الشيخ ومقدرته فقال : « وكان من عجائب أمر الشيخ أني صحبته خمساً وعشرين سنة ، فما رأيته اذا وقع له كتـاب مجدّد ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصـد المواضـع الصعبة منه والمسائل المشكلة فينظر ما قاله مصنفه فيهـا فيتبين مرتبته في العلم ، ودرجته في الفهم »[٤٢] • لقد وفق أبو عبيد ، بهذا الملحظ الدقيـق الذي ساقه ، في التدليل على مقدرة أستاذه الخارقة ، وذكائه المتلهب، وموهبته الفذة ، وتفوقه على أنداده • وقال الامام فخر الدين الرازي في صفة الشيخ : « كان في قوة القريحة آية ، وفي جودة الفكر والنظر غايـة »[٤٣] •

ولقد نالت كتب ابن سينا من الذيوع والشهرة ما لا حدّ بعده• هل ينكر أحدٌ شأن كتاب القانون في الطب ، وأثره الكبير في الحضارة العربية ، وفي الغرب • لقد أطال الدارسون والمستشرقون في أحاديثهم

عن مكانة كتاب القانون في الطب وتاريخه ، وكشفوا عن آثاره البعيدة في عالم الطب والأطباء • أما كتب الحكمة والفلسفة وعلى رأسها الشفاء والنجاة والاشارات فهي تمثل احدى الذرا التي بلغتها الفلسفة الإسلامية ، نهض بها ابن سينا ليكمل البناء الذي شيّده من قبله الكندي والفارابي ، فكان الوفيّ الأمين لأسلافه ، مشى على آثارهم، وأضاف بعبقريته ما طبع فلسفته بطابعه ، ووسمها بميسمه • وأما قصة حي بن يقظان الرمزية وأشباهها من مثل رسالة الطير ، وسلامان وابسال ، التي فاضت بأسرار الحكمة المشرقية فيكفيها أثراً ومكانة في عالم الفكر أن يكون الفيلسوف الكبير أبو بكر بن طفيل الأندلسي ممن جلس على مائدتها (٤٤) •

لن أمضي في تعداد مؤلفات الشيخ الرئيس ووصفها ، ولا في تبيان مكانة فيلسوف الحكمة المشرقية ، وستسمعون الكثير المفيد في محاضرات الأساتذة المشاركين في الذكرى الألفية • وأسرع فأقول : إن المكانة التي بلغها ابن سينا بمؤلفاته وكتبه ، وان التقدير الذي ناله قد وفرا للشيخ وكتبه من الدراسات والبحوث ما لم يظفر به أحدغيره من فلاسفة العرب ، وقد رزق الشيخ حظاً من الشهرة العالمية تفرّد به بين أقرانه ، وهيأ لمؤلفاته أن تحظى بعناية العلماء تحقيقاً وشرحاً وانتشارا • ولن أذهب بعيداً في سرد الأمثلة ، وأكتفي بالقريب القريب• لقد احتفت تركيا عام ١٩٣٧ بمرور تسعمائة سنة (في التقويم الغريغوري) على وفاة الفيلسوف الطبيب(٤٥) ، وكانت مناسبة طيبة للعناية بآثار الشيخ الرئيس وتحقيقها وتصنيفها وتتبع مخطوطاتها ، واعداد الدراسات والبحوث بشأنها ، وإلقاء المحاضرات وعقدالندوات والمناقشات • ثم اعلنت من بعد المهرجانات العلمية في بغداد وفيطهران، وفي أنحاء الوطن العربي ، وفي أقطار مختلفة من العالم في أعقاب عام

(١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م) احتفاءً بذكرى مرور الف عام (في التقويم الهجري) على ولادة الشيخ الرئيس • وما اكثـر الاحتفـالات التي أُقيمت آنذاك ، وما أجلّ الدراسات التي صدرت ، وما أجمل الحلل التي بدت بها كتب الشيخ وقد حققت وصححت • لقد كانت مناسبة رائعة رائعة ، شاركت فيها المؤسسـات العربية والايرانيـة الثقافية ، وامتدت لتشمل أرجاء العالم ، وجذبت بألقها أنظار العلماء والمفكرين فحاضروا وكتبوا وحاوروا ، فأحيت مآثـر الشيخ الرئيـس وآثاره ، وصدقت بحقها الحكمة المأثورة : ان الحاضر يؤثر في الماضي • وأكتفي هنا بذكر الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا الذي ضمّ المحاضرات التي أُلقيت ببغداد (٢٠ ــ ٢٨ آذار ١٩٥٢ م) ، وكتاب المهرجان لابن سـينا ــ المجلد الثالث ، ويشمل الخطب التـي قيلت بالعربية في احتفالات طهران وهمذان (٢١ ــ ٣٠ نيسان ١٩٥٤ م) رمزاً لهذا النشاط الواسع الذي شاركت فيه دول شتى تقديراً وتكريماً لذكرى الفيلسوف العظيم •

وها هي ذي منظمة الأمم المتحـدة للتربيـة والعلوم والثقـافة (اليونسكو) تصدر قرارها الشهير في دورتها العشرين (تشرين الأول ــ تشرين الثاني ١٩٧٨ م) بدعوة الدول الأعضاء في المنظمة أن تحتفل عام ١٩٨٠ م بالذكرى الألفية لمولد ابن سينا (طبق التقويم الغريغوري) باقامة المهرجانات الوطنية والاقليمية والدولية من شـتى الأنـواع ، اعترافاً بالاضافة الكبيرة التي قدمها المفكر والعالم العظيم ابن سينا ، في تطور الفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع والادب والشعر وعلم اللغة والعلوم الطبيعية والطب • ولقد لبت الدول هذا النداء واستجابت له وشاركت في التكريم ، وسيكون حصـاد العام في التعـريف بالشيخ الرئيس وكتبه ومكانته العلمية والفكرية الحصاد الوفير الخصب •

ان هذه المناسبات العظيمة التي تقام تقديرا للفيلسوف الحكيم وتنويها بمكانته قد فتحت الباب واسعا لدراسات مبتكرة ، وبحوث جديدة تتناول الشيخ الرئيس وكتبه ، وتعيد النظر في تحقيق مؤلفاته، تنفي ما أصابها من التحريف والتصحيف ، وتزينها بطائفة من الشروح والتعليقات تكشف عن مشكلاتها ، وتجعلها اكثر وضوحا وأقرب تناولاً ، وتزيدنا معرفة بها ، وفهماً لمقاصدها وغاياتها ، وتبيناًلتأثيرانها المختلفة في شتى البيئات العلمية والفكرية • هل لي آن أنبّه الى أن مثل هذا التكريم العالمي ليس بالجديد على الشيخ الرئيس ، ولم ينفرد عصرنا به • لقد عرفت اوربا العصور الوسطى ابن سينا وكرّمته ورفعت من شأنه • وان صورته المرسومة على جدران مكتبة جامعة اكسفرد بين أعاظم رجال العالم وفلاسفتهم لترمز الى هذا التقدير الذي حبته به اوربا في تلك العصور السالفة(٤٦) •

* * *

واذا كانت عبقرية الشيخ الرئيس التي تألقت في كتبه وتآليفه قد دفعت الأجيال أن تعود اليها دارسةً منقّبة ، تكشف لها الأيام كل مرة صفحة جديدة ، ومعرفة جديدة ، لأن العباقرة لا ينفد معينُهم ، يتجددون تجدد الفكر الإنساني ، فلا بدّ لي من التلبّث قليلاً في أكناف تلك المزية الباهرة التي اتصف بها الشيخ الرئيس ، وهي مقدرته الفائقة على تأليف الكتب وانشاء الرسائل في المدة القصيرة ، والتي أدهشت تلاميذه والمحيطين به ، فنوهوا بها ولهجوا ، كأنما كان عقله مخبوءاً تحت لسانه ، فما هو إلا ان يستجيب لسائليه فيما يطلبون منه، حتى يضع خطة مؤلّفه وكأنها ماثلة في ذهنه،ثم يبدأ الكتابةاو الإملاء، تواتيه المعاني ارسالا ، وتطيعه الألفاظ تنثال عليه يختار منها ما يشاء • أجاب أهلَ العلم بشيراز عن شُبَهٍ وقعت لهم في مسائل من كتابه

المختصر الأصغر في المنطق ، وكان قـــد صنفه بجرجان ، فاثـــار العجب باستعجاله « وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس »[٤٧] • إنها المقدرة المعجزة تواتيه في سهولة ويسر ، لا تتأبـــى عليه في أعسر الموضوعـــات وأغمضها ، وفي اكبر الكتب وأشقّها واكثرها تفاصيل ، وفي أقســـى الحالات وأقلها راحة واطمئنانا • يقول أبو عبيد ، وكان الشيخ الرئيس متوارياً في دار أبي غالب العطار بهمذان ، خوف السلطان : « وطلبتْ منه إتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب ، وطلب الكاغد والمحبـــرة فأحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطـــه رؤوس المسائل ، وبقي فيه يومين ، حتى كتب رؤوس المسائل كلها ، بلا كتابٍ يحضره ، ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبـــه • ثم تركَ الشيخ تلك الأجزاء بين يديه ، وأخذ الكاغد ، فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب في كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ، ما خلا كتابي الحيوان والنبات [في مدة عشرين يوما][٤٨] ، وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً ••• »[٤٩] •

هذه المقدرة البالغة التي تجلت في الشـــيخ الرئيـــس تستدعي بالضرورة احاطة باللغة واسعة ، وتمكناً من مفرداتها لا يحدّ ، وتتطلب موهبة في التعبير تفسح لصاحبها أن يفصح عن أدق الفكر الفلسفيـــة والعلمية ، وأن يعبر عن أذواقه ومواجده ، دون تلبث أو عجز ، مـــع معرفة تامة بالمصطلح تسعف وتنجد حين الحاجة ، وملكة قادرة علـــى اصطناع اللفظة المناسبة ، واختيار العبارة الملائمة الموافقة • وان تتبع ما خطته يراعة الشيخ الرئيس لتقنع بتوافر كل هذه الصفات فيـــه ، بل إن نفحة أدبية مستـــرة كانت تمازج روح هذا الفيلسوف وتأبى الا ان تطل برأسها في الفينة بعد الفينة • ألم يتـــرنم الناس جميعـــا بعينيته الرائعة في النفس :

هبطت اليـك من المحـل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع[٥٠]
محجوبـة عن كل مقلـة ناظر وهي التي سفرت ولم تبرقع

إنهم يتناشدونها وقد فتنهم الشيخ الرئيس بجمال أسلوبه وحسن أدائه . وما أصدق قولة الصلاح الصفدي يصف ابن سينا : « ولم يأت في الاسلام بعد أبي نصر الفارابي مَنْ قام بعلوم الفلسفة مثل الشيخ الرئيس أبي علي ، إلا أن عبارته أفصح وأعذب واحلى واجلى . وما كان كلام الأطباء قبله الا كلام عجائز ، حتى جاء الرئيس واتى بالقانون فكأنه خُطَب لبلاغة معانيه ، وفصاحة ألفاظه ... »[٥١] .

ويذكر مترجمو ابن سينا قصة جرت له مع أبي منصور الجبان استثارته ودفعته أن يتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، حتى بلغ بها طبقة قلما يتفق مثلها . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب ، لم يصنف في اللغة مثله ، ولم ينقله الى البياض حتى توفي ، فبقي على مسودته ، لا يهتدي أحد الى ترتيبه[٥٢] . لقد كان تذوقه للألفاظ وتدقيقه في معرفة الفروق بينها نعم المساعد له في تآليفه ، إنه يتغلغل في اللفظ يستشف معناه ودلالته ، ويتوقف امام الالفاظ يتهدى الى الفروق الدقيقة في مراميها ، وهذا مثل للنمط الذي كان يسلكه في تفهم معاني الألفاظ ، يعينه في بلوغ غايته فطرة مسعفة لا تبارى إرهافاً ودقة واستنباطا . قال ، وهو منتخب من كتابه لسان العرب : « المشابهة : اتفاق في الكيفية وما يجري معها . والمساواة : اتفاق في الكمية . والمحاذاة والموازاة : اتفاق في البعضية . والمماثلة والمشاكلة : اتفاق في الذات . والمواطأة : اتفاق في العزم »[٥٣] .

إن تآليف الشيخ الرئيس تحمل الأدلة القاطعة على طواعية اللغة له

في أداء معانيه وحسن تصرفه . وقد ترتفع طبقة الكلام في مواضع من كتبه ، وفي بعض رسائله حتى تدنو من أساليب الكتاب الأدباء البلغاء . ان رسالة حي بن يقظان او رسالة القدر ، او رسالة الطير[٥٤] ، أمثلة حية على مقدرة الشيخ البلاغية ، وان تكن يد التصحيف والتحريف التي عبثت بها ما زالت تحلّىء مطالعها ، وتعكّر عليه العذب النمير ، فلا يتبين كل مراميها ، ولا يفرغ للتمتع بأسلوبها . وتقرأ في كتاب الاشارات النمط التاسع في مقامات العارفين فاذا أنت في روضة من الحسن ، لافتنان الشيخ الرئيس ، ومقدرته في الإبانة عن الأذواق والمواجد[٥٥]، مما أعجز الامام فخر الدين الرازي عن اختصاره وقال كلمته : « هذا الباب لا يقبل الانتخاب ، لأنه في غاية الحسن ، وما محاسن شيء كله حسن »[٥٦] . ولاجتزىء هنا بكلمته التي ختم بها كتاب الاشارات والتنبيهات فهي شاهد ما وراءها من بيان الشيخ وأسلوبه الذي ارتضاه : « أيها الأخ ، اني قد مخضتُ لك في هذه الاشارات عن زبدة الحق ، وألقمتك قَفِيَّ الحكم ، في لطائف الكلم ، فصنه عن الجاهلين والمبتذلين ، ومن لم يُرْزق الفطنة الوقادة ، والدربة والعادة ، وكان صفاه مع الغاغة ، أو كان من ملاحدة هؤلاء الفلاسفة ومن هَمَجِهم . فإن وجدت من تثق بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يتسرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضا والصدق ، فآته ما يسألك منه مدرَّجاً مجزّأً مفرّقاً ، تستفرس مما تسلفه لما تستقبله . وعاهده بالله ، وبأيمان لا مخارج لها ، ليجري فيما يأتيه مجراك ، متأسياً بك ، فإن أذعت هذا العلم ، أو أضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلا »[٥٧] .

إن موضوع لغة الشيخ الرئيس ، ومصطلحه الذي اصطنعه في كتبه أمر هام جدا ، واذا كانت السيدة غواشون قد طرقت أحد جوانب

هذا الموضوع في كتابها : فلسفة ابن سينا[٥٨] ، فما زال الموضوع بكراً يحتاج الى بحوث جادة مطولة تكشف عن هـذا الجانب من جوانب عبقرية ابن سينا ، وما أكثرها !

وأمرٌ ثان لا بـد من التوقف في جنباته حين نقرأ آثار الشـيخ الرئيس . فقد كان للقدماء الحكماء آدابهم في التأليف وفي الشرح وفي التعليم ، وقد اقتدى ابن سينا بهم ، فهو لا يكشف لك عن آرائه جملة واحدة ، ولا يتوقف بك عند كل قضية ليعرض لك وجه الحق فيهـا على ما يراه ويذهب اليه . فلكل كتاب غاية ومرمى ، وابن سينا وفيٌ أمين يأخذ بيدك ليوفي بك على الغاية التي أرادها من وراء كتابه . لقد وضع كتاب الشفاء ، وكانت غايته ان يطلعك على مذاهب المشـائين من الفلاسفة ، فهو في كتابته ملتزم بآداب خاصة لا يخرج عليها إلا في الضرورة القاضية . يقول الطوسي : « ومن شرط الشارحين أن يبذلوا النصرة لمـا قد التزموا شرحه بقدر الامكان والاستطاعة ، وأن يذبّوا عما قد تكفلوا بايضاحه ، بما يذب به صاحب تلك الصناعة ، ليكونوا شارحين غير ناقضين ، ومفسرين غير معترضين ، اللهم الا اذا عثـروا على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح ، فحينئذ ينبغي أن ينبهوا عليه بتعريض أو تصريح ، متمسكين بذيل العدل والإنصاف ، متجنبين عن البغي والاعتساف »[٥٩] . وهذا هذا ما التزمه ابن سينا في كتبه من أمثال الشفاء ، بل انه ليصرح في مقدمة الشـفاء التصريح الذي لا يحتمل أي لبس فيقول ، بعد أن يتحدث عن نهجه في تأليف الشفاء وفي كتاب اللواحق : « ولي كتاب غير هذين الكتابين ، أوردتُ فيـه الفلسفة على ما هي عليه في الطبع ، وعلى ما يوجبه الرأي الصريح الذي لا يراعى فيه جانب الشركاء في الصناعة ، ولا يُتّقـى فيه من شقّ عصاهم ما يُتّقى في غيره ، وهو كتابي في (الفلسفة المشرقية) . وأما

هذا الكتاب (اي كتاب الشفاء) فأكثر بسطا ، وأشـدّ مع الشركاء المشائين مساعدة ، ومن أراد الحق الذي لا جمجمة فيه ، فعليه بطلب ذلك الكتاب (اي الفلسفة المشرقية) ، ومن أراد الحق على طريق فيه ترضٍّ ما الى الشركاء وبسط كثير ، وتلويح بما لو فطن له استغني عن الكتاب الآخر ، فعليه بهذا الكتاب »[٦٠] . وان المقدمة الرائعـة التي افتتح بها الشيخ الرئيس كتابه (منطق المشرقيين) توضح مذهبه وطريقته في تآليفه ، تقع فيها على نفحات تجلو عن وجه الشيخ ،وتدل على شخصيته الفذة ، ورأيه المستقل ، وترشحه بحق ليؤلف كتـاب الإنصاف يحكم فيه بين المشرقيين والمغربيين من الفلاسفة [٦١] . وبدا لي من الحتم أن أنقل نصها على طولـه ، لا أفرّط في شـيء منـه ، لقيمته الكبرى في فهم فلسفة ابن سينا والنفاذ الى كتبه . ولعلها خير ما يتسلح به دارس ابن سينا قبل ان يخوض عبابه . يقول : « وبعد ، فقد نزعت الهمة بنـا الى ان نجمع كلاماً فيما اختلف اهل البحث فيه، لا نلتفت فيه لفت عصبيـة أو هوى او عـادة او إلف ، ولا نبالي من مفارقة تظهر منا لمـا ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلـة فهم ، ولما سمع منا في كتبٍ ألّفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهـد إلا اياهم ، ولم ينل رحمته سواهم، مع اعترافٍ منا بفضل أفضل سلفهم (يعني به ارسطو) في تنبهه لمـا نام عنه ذووه وأستاذوه ، وفي تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفي ترتيبه العلوم خيراً مما رتبوه ، وفي إدراكـه الحقّ في كثيرٍ من الأشياء ، وفي تفطنه لأصول صحيحة سرية في أكثـر العلوم ، وفي إطلاعه الناس على ما بينها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك أقصى ما يقدر عليه انسان يكون اولّ من مـدّ يديه الـى تمييـز مخلوط ، وتهذيب مفسد . ويحق على من بعده أن يلمّوا شعثه ، ويرمّوا ثلمـاً يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولا أعطاها . فما قدر من بعده على ان

يفرغ نفسه عن عهدة ما ورثه منه ، وذهب عمره في تفهم ما أحسن فيه، والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها ما استحلّ أن يضع ماقاله الأولون موضع المفتقر الى مزيد عليه او اصلاح له او تنقيح إياه .

وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ، ولا يبعد أن يكون قد وقع الينا من غير جهة اليونانيين علوم ، وكان الزمان الذي اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه . ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذي يسميه اليونانيون (المنطق)ـ ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره ـ حرفاً حرفاً ، فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لكل شيء وجهة ، فحقّ ما حقّ ، وزاف ما زاف .

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدي الاعتزاء الى المشائين من اليونانيين كرهنا شقّ العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا اليهم،وتعصبنا للمشائين ، اذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه وجعلنا له وجهاً ومخرجا ، ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى خلله واقفون ، فإن جاهرنا بمخالفتهم ففي الشيء الذي لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل . فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ، ويشكون في النهار الواضح . وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عيون عقول هؤلاء الذين في العصر ، فقد بلينا برفقة منهم عاري الفهم ، كأنهم خشب مسندة يرون التعمق في النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة ، كأنهم الحنابلة في كتب الحديث ، لو وجدنا منهم رشيداً

ثبتناه بما حققناه ، فكنا ننفعهم به ، وربما تسنّى لهم الايغال في معناه، فعوضونا منفعة استبدوا بالتنقير عنها •

ومن جملة ماضنننّا بإعلانه عابرين عليه حقٌ مغفول عنه ، يشـــار اليه فلا يتلقى إلا بالتعصب • فلذلـــك جرينا في كثير مما نحن خبـــراء ببجدته مجرى المساعدة ، دون المحاقّة • ولو كان ما انكشف لنا أول ما انصببنا الى هذا الشأن لم نبـــد فيه مراجعات منا لأنفسنا،ومعاودات من نظرنا ، لمـــا تبيّنا فيـــه رأيا ، ولاختلط علينـــا الرأي ، وسرى في عقائدنا الشك ، وقلنا لعل وعسى • لكنكم أصحابنا تعلمون حالنا في اول أمرنا وآخره ، وطول المدة التي بين حكمنا الأول والثاني ، واذا وجدنا صورتنا هـــذه فبالحرا أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا بـــه واستدركناه ، ولا سيما في الأشياء التي هي الأغراض الكبرى والغايات القصوى التي اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات • ولما كانت الصورة هذه والقضية على هذه الجملة أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوي على أمهات العلم الحق الذي استنبطه من نظر كثيرا وفكر مليا ، ولم يكن من جودة الحدس بعيدا ، واجتهد في التعصب لكثير فيمـــا يخالفه الحق فوجد لتعصبه وما يقوله وفاقاً عند الجماعة غير نفسه ، ولا أحق بالاصغـــاء اليه من التعصب لطائفة اذا اخذ يصدق عليهم فإنه لا ينجيهم من العيوب إلا الصدق •

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا ، أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا • وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وسنعطيهم في اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه »(٦٢) •

بهذا الأسلوب الهادىء الواضح يؤكد ابن سينا هويته ، ويفصح

عن مذهبه ، لا يسلك الى غايته سبيل الجدل والاشتداد على المخالف، ولا يحب المكابرة والمكاثرة ، ولكنه يلمح ويلوح ، ويومىء ويشير ، ويمضي الى غرضه متمهلاً بتدريج ، فاذا أعلن رأيـه فهو الإعـلان المخافت لا تشهير فيه ولا تنديد، إذ لا مطمح له الا نصرةالحق وايثاره، دون أن تستبد به شهوة المغالبة ، ولعل أصرح ما جاء له في هذا الباب قوله في انتقاد فرفوريوس الصوري صاحب ايساغوجي : « وكان لهم رجل يعرف بفرفوريوس ، عمل في العقل والمعقولات كتاباً يثني عليـه المشاؤون ، وهو حَشَف" كلـه . وهم يعلمـون من أنفسـهم انهم لا يفهمونه ، ولا فرفوريوس نفسه ، وقد ناقضه من أهل زمانه رجل ، وناقض هو ذلك المناقض بمـا هو أسقط من الأول »(٦٣) .

ويجيب ابن سينا سائله اجابة من يريد أن يقنع ويفيد ، ولوكانت غاية السائل التحدي والمعاجزة ، فعله مع أبي الريحان البيروني ، فقد أجابه الشيخ الرئيس عن المسائل العشر التي استدركها على ارسطو في كتابه (السماء والعالم) ، وضمّ اليها إجابته عن المسائل الاخرى(٦٤). فاذا اشتطّ مناظره أو جاوز حـدّ الأدب توقف الشـيخ واعتصـم بالصمت ، استمساكاً بعرى الأدب الذي أخذ نفسه به . يقول البيهقي: « ولما أجاب أبو علي [بن سينا] عن أسئلة أبي الريحان [البيرونـي] اعترض على تلك الأجوبة أبو الريحان ، وتفوه بكلمات متضمنة سوء أدبٍ وسفاهة ، فامتنع أبو عليّ عن مناظرته ، فأجاب المعصومي (وهو أفضل تلامذة ابن سينا) عن اعتراضات أبي الريحان وقال : لو اخترت يا أبا الريحان لمخاطبة الحكيم ألفاظاً غير تلـك الألفاظ لكـان أليق بالعقل والعلم »(٦٥) .

أتمنى أن يتفرغ باحث ليرتب كتب الشيخ الرئيس وفقاً لسنوات تأليفها ، فإن مثل هذا العمل هام يرشـد الدارسـين الى تطـور فكر

الفيلسوف الحكيم . ولقد أشارت سيرة الشيخ الذاتية الى شيء من ذلك ، وهو بحاجة الى تتبع وتقصٍّ ومعاناة قد تصل بصاحبها الـــى حظٍ من النجاح غير قليل .

لا يملك من يقرأ سيرة الشيخ الرئيس ، ويطالع في مصنفاتـــه ، ويتبين ما خلّفه في الحضارة العربية ، والحضارة العالمية إلا أن يترنّم بأبيات الشيخ الرئيس ، يراها حقاً لا تزيّد فيه ولا شطط :

بأيّ مآثرٍ ينقاسُ بي أحـــدٌ
بأي مكرمـــة تحكيني الأممُ[٦٦]

أما البلاغـــةُ فأسأل بي الخبير بها
أنا اللســـان قويماً والزمانُ فـــمُ

كانت قناةُ علوم الحق عاطلـــةً
حتى جلاهـــا بشرحي الفهمُ والقلمُ

ومضى ابن سينا يجري على غلوائه ، يعبُّ من الحيـــاة متطلقاً ، يغلب بتفاؤل نفسه ، وتفتح قلبه هموم عصره وغدرات زمانه ، راضيـــاً مغتبطاً لا يتخوّف ولا ينقبض . ولما استبدت به العلة ، وسقطت قوته لم يتبرم ولم يتضجر ولم يتسخط حظه ، وقال قولتـــه الحلوة ، قولة عارف خبير بالدنيا ، قد استوفى نصيبه منها : « المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير ، فلا تنفع المعالجـــة » ، ثم أغفى اغفاءتـــه الطويلة ، وعلى فمه ابتسامة الرضا في شهر رمضان من عام ٤٢٨ هـ ، وقد تردّى الثامنة والخمسين من عمره ، وضمّته ثَرَى همذان ضنينـــاً به ، حريصاً عليه ، منارةً هاديةمن منارات الحضارة العربية العريقة[٦٧] .

* * *

وبعد ، فقد درج المجلس الأعلى للعلوم أن يحتفل خلال أسبوع

العلم في كل عام باحياء ذكرى عالم عربيّ ، شارك في مسيرة الحضارة، وأغنى ببحوثه المعرفة الإنسـانية ، اعترافاً بفضل اولئك الأجدادالذين بذلوا وضحّوا حتى سطعت على العالم شمس حضارتهم ،وحرصاً على هذه الصلة الوثيقة بين المعاصرة والتراث ، بين الأمل المرتجى والماضي المشرق الزاهر . وقد اختار المجلس أن يحتفل هـذا العام بالفيلسوف العالم ابن سينا ، احتفاءً بذكرى مولده الألفية التـي دعت منظمـة اليونسكو دول العالم جميعا أن تحتفل بها ، وتقيم المؤتمرات والندوات والمهرجانات إشادةً بمكانة الشيخ الرئيس الذي أسدى الى الإنسانية أجلّ الخدمات في ميادين العلم والمعرفة ، وخلّف آثاراً لا تنسى في تطور الفكر والعلم في العالم .

وقد رأت لجنة الاحتفال بذكرى ابن سينا تخليداً لهذه المناسبة أن تصدر كتاباً يتضمن جـزءً منه ما قالـه الأقدمون في ابن سينا ، ويتضمن جزؤه الثاني المحاضرات والدراسـات والبحوث التي يلقيها السادة العلماء في هذا الاحتفال .

ليست كلمتي هذه تعريفاً بابن سينا ، أو دراسة لجانبٍ من جوانب عبقريته . إني لست من فرسان هذا الميدان ، ولـن أقتحم لجته على غرر ، وانما هي تحية ودّ وتقدير شرفتني لجنـة الاحتفال أن أنوب عنها في إلقائها ، لأقدم بها بين يدي الاحتفال العظيم بالذكرى الألفية لابن سـينا .

المراجـع

● هذه الكلمة تحية لابن سينا افتتح بها مهرجان ذكرى مولـده الالفية . ورأيت من تمام التحية ان يكون لكلمات الشيخ المقتبسة الحظ الاوفى في كلمتي . ولعلي انجحت فيما قصدت له .

● اعددت هذه الحواشي للمبتدئين الشداة ، لعلها تكون نـورا يسعى بين ايديهم يهديهم الى كنوز ابن سينا ونفائسه . وليس للعلمـاء والباحثين فيها أرب .

(١) جوزجان : اسم كورة واسعة من كوربلخ بخراسان ، وهي بين مرو الروذ وبلخ (معجم البلدان) ، وتقع اليوم في شمالي جمهوريـة افغانستان .

(٢) بلـخ : مدينة مشهورة من اجل مدن خراسان ، واذكرها ، واكثرها خيرا ، واوسعها غلـة (معجم البلدان) ، وهي اليوم في شمالي جمهورية افغانستان .

(٣) بخارى : من اعظم مدن ما وراء النهر واجلها . وكانت قاعدة ملك السامانية (معجم البلدان) . وهي اليوم في جمهورية اوزبكستان .

(٤) ابو القاسم نوح بن منصور من امراء السامانية ، تولى الامارة على خراسان وما وراء النهر اثنتين وعشرين سنة (٣٦٦ ــ ٣٨٧ هـ) .

(٥) خرميثن ، بفتح اوله وتسكين ثانية وفتح ميمه وتسكين الياء المثناة من تحت ، وثـاء مثلثـة مفتوحة : من قـرى بخـارى (معجم البلـدان) .

(٦) افشنة ، بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين معجمة مفتوحة ، وزون وهاء : من قرى بخارى (معجم البلدان) .

(٧) نسب ياقوت الحموي ابن سينا الى بخارى ، وعده من اكابر من انجبته من علمائها (معجم البلدان ــ بخارى) ، وقد سلك مسلكه عدة مؤلفين ترجموا لابن سينا ، ويقول الذهبي يترجم لابن سـينا : « اصله بلخي ، ومولده ببخارى » (العبر ٣ : ١٦٥) .

(٨) تاريخ الحكماء للقفطي : ٤١٣ ، عيون الانباء لابن ابي اصيبعة

٢ : ٢ ، وانظـر تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي : ٥٢ ، والوافي بالوفيـات للصفدي (ط ١٩٧٩ م) ١٢ : ٣٩١

(٩) التحق ابو عبيد عبد الواحد بن محمد الجوزجاني بابن سينا وهو بجرجان . ولعل ذلك قد كان نحو سنة ٤٠٣ هـ ، اذ كان ابن سينا قد عاد الى جرجان بعد حبس قابوس بن وشمكير وموته سنة ٤٠٣ هـ (تاريخ الحكماء : ٤١٧ ، عيون الانباء ٢ : ٤ ، تاريخ حكماء الاسلام : ٥٨ ــ ٥٩ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٥ ، الكامل لابن الأثير ٩ : ٩٨ــ٩٩). يقول ابو عبيد : « يممته وهو بجرجان ، وسنه قريب من اثنتين وثلاثين سنة ، وقد بلي بخدمة السلطان ، والتصرف في عمله ، وقد شغل ذلك اوقاته » (الشفاء / المنطق / ١ ــ المدخل : ١ــ٢). صحب ابو عبيد الشيخ الرئيس وخدمه خمساً وعشرين سنة (تاريخ الحكماء : ٤٢٢ ، عيون الأنباء ٢ : ٧) ، وجاء في تاريخ حكماء الاسلام : ٦٤ ، انـه صحبه ثلاثين سنة ، وهو سهو . ولابي عبيد ترجمة في كتاب تاريـخ حكمـاء الاسلام (ولعل اسم الكتاب الصحيح : تتمة صوان الحكمة) : ١٠٠ ــ ١٠١ ، وانظر كتاب : جهار مقالة لنظامي عروضي (القاهرة ــ ١٩٤٩ م): ١٧٥ ــ ١٧٦ .

(١٠) كان اسماعيل الزاهد من فقهاء الحنفية في بخارى ، وامـام المعتزلة . انظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦ : ٣١٠ ــ ٣١١ ، والمنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٥٨ ، والجواهر المضية في طبقـات الحنفية للقرشي (ط . حيدر اباد بالهنـد ، ١٣٣٢ هـ) ١ : ١٥٦ ــ ١٥٧ ، ٢ : ٢١٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٩٨ ، وكتاب المهرجان لابن سينا (ط . طهران ١٣٧٦ هـ) ٣ : ٢٦٨ ــ ٢٦٩

(١١) بلغ من براعة ابي علي بن سينا في الفقه ان ترجم له علمـاء الحنفية في طبقاتهم ، وكان هـو في مطلع حياته على زي الفقهاء بطيلسان وعمامة تحت الحنك (الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١ : ١٩٥ ــ ١٩٦ ، ٢ : ٣٩٩ ، تاج التراجـم في طبقات الحنفية ١ : ١٩ ، تاريـخ حكماء الاسلام : ٥٨ ، تاريخ الحكماء : ٤١٧ ، عيون الانباء ٢ : ٤ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٥ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٥ ــ ٢٦) .

(١٢) هو ابو عبد الله الناتلي (تاريخ حكماء الاسلام : ٣٧ ــ ٣٨). والناتلي : نسبة الى ناتلـة ، ويقـال : ناتـل ، مدينـة بطبرسـتان (معجم البلدان) .

(١٣) ضبط اللغويون اسمه في معجماتهم : أوقليدس ، بضم اوله وزيادة الواو (التكملـة للصغاني ، وتاج العروس للزبيدي ــ قلدس).

(١٤) تاريخ الحكماء : ٤١٤ ، عيون الانباء ٢ : ٣ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٢

(١٥) تاريخ الحكماء : ٤١٤ ، عيون الانباء ٢ : ٣

(١٦) تاريخ الحكماء : ٤١٥ ، عيون الانباء ٢ : ٣ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٣

(١٧) تاريخ الحكماء : ٤١٦ ، عيون الانباء ٢ : ٤ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٤ ، ويقول ابن خلكان : « واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة فتفرد ابو علي [بن سينا] بما حصله من علومها . وكان يقال : ان ابا علي توصل الى احراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها ، وينسبه الى نفسه » (وفيات الاعيان ٢ : ١٥٨ ، وانظر تاريخ حكماء الاسلام : ٥٦).

(١٨) الشفاء / المنطق / ٧ ــ السفسطة : ١١٤

(١٩) رسائل ابي العلاء المعري (ح . مرغليوث) : ٣٢ ، و (من يهد الله ... مرشدا) هي الآية ١٧ في سورة الكهف .

(٢٠) تاريخ الحكماء : ٤١٥ ، عيون الانباء ٢ : ٣ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٢ ، وانظر تاريخ حكماء الاسلام : ٥٤

(٢١) انظر تفسير ابن سينا لهذا الاسم في كتاب الشفاء/الإلهيات/ ١ : ٢١ ــ ٢٤

(٢٢) تاريخ حكماء الاسلام : ٥٥ ــ ٥٦ ، تاريخ الحكماء : ٤١٥ ــ ٤١٦ ، عيون الأنباء ٢ : ٣ ــ ٤ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٣

(٢٣) الجرجانية : مدينة عظيمة على شاطىء نهر جيحون ، وهي قصبة اقليم خوارزم ، واهل خوارزم يسمونها بلسانهم (كركانج) . وخوارزم : اسم للناحية كلها (معجم البلدان) .

(٢٤) خراسان : بلاد واسعة ، اول حدودها مما يلي العراق ازاذوار قصبة جوين ، وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، وليس ذلك منها ، انما هو اطراف حدودها ، وتشتمل على امهات من البلاد ، منها نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبتها ، وبلخ وطالقان ونسا وابيورد ، وسرخس ، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون . ومن الناس من يدخل اعمال خوارزم فيها ، وبعد ما وراء النهر منها ، وليس الامر كذلك (معجم البلدان) . وهذا يعني ان خراسان بحدودها القديمة كانت تشمل بقاعا من ايران وتركمانيا وافغانستان الآن . فنيسابور وسرخس وجاجرم وطوس تقع في الشمال الشرقي من ايران اليوم ، وقد اصاب الخراب مدينة طوس ، وقامت بالقرب منها مدينة مشهد الشهيرة . وبلخ وهراة في افغانستان ، ومرو في تركمانيا .

(٢٥) جرجان : مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان (معجم

البلدان) وهي تقع في الشمال الشرقي من ايران ، قرب الزاويةالجنوبية الشرقية من بحر قزوين .

(٢٦) الري وقزوين وهمذان واصبهـان : مدن شهيرة في بـلاد الجبال (معجم البلدان) وهي اليوم في جمهورية ايران .

(٢٧) تاريخ حكماء الاسلام : ٥٢ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٦١ ،الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠١ ، وانظر في تحديد مولد الشيخ الرئيـس مقالـة الاستاذ الطباطبائي : ميلاد ابن سينا (الكتاب الذهبي للمهرجان الالفي لذكرى ابن سينا / بغـداد ، طبع في القاهرة ـ ١٩٥٢ م) : ١٦٢ـ١٦٩

(٢٨) تاريخ الحكماء : ٤١٣ ، عيون الأنباء ٢ : ٢ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩١ ، وذكر البيهقي وهو يترجم لابن سينا أن اباه كان يطـالع ويتأمل رسائل اخوان الصفا ، وان ابا علي بن سينا كان يتأملها ايضـا (تاريخ حكماء الاسلام : ٥٢ ـ ٥٣) .

(٢٩) الكامل لابن الأثير ٩ : ٤٠ ـ ٤١

(٣٠) الكامل لابن الأثير ٩ : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٦٠ ـ ٦٢

(٣١) يذكر البيهقي أن ابن سينا لم يبالغ في علم الرياضي ، لأنمن ذاق حلاوة المعقولات يضن بصرف فكره في الرياضيات ، الا فيما يتصوره مرة واحدة ويتركه ، وليس في الرياضي زيادة مرتبة وسعادة في العقبى (تاريخ حكماء الاسلام : ٥٥ ، ٥٧) .

(٣٢) تاريخ حكماء الاسلام : ٥٧ ، تاريخ الحكماء : ٤١٦ ـ ٤١٧ ، عيـون الأنباء ٢ : ٤ ، ١٨ ، ١٩، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٤ ، ٤٠٤ ، الكتاب الذهبي للمهرجان الالفي لذكرى ابن سينا : ١٦٣

(٣٣) تاريخ حكماء الاسلام : ٥٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ١٥٨

(٣٤) تاريخ حكماء الاسلام : ٥٥

(٣٥) هو ابو طاهر شمس الدولة بن فخر الدولة بن ركن الدولـة ابن بويه ، تولى ملك همذان (٣٨٧ ـ ٤١٢ هـ) .

(٣٦) الشفاء /المنطق/ ١ ـ المدخل : ١ ـ ٢ ومما يؤكد كلمـة أبي عبيد ما ذكره ابن سينا نفسه في سيرة حياته ، وكان آنذاك في بخارى لم يغادرها ، قال : « وكان في جواري ايضا رجل يقال لـه : ابو بكـر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسيـر والزهد ، مائل الى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له ، وصنفتله كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتابا سميته كتاب البـر والاثم ، وهذان الكتابـان لا يوجدان

إلا عنده ، فلم يعرهما احـدا ينتسخ منهما » (تاريخ الحكماء : ٤١٦ ـ ٤١٧ ، عيـون الانباء ٢ : ٤ ، الوافي بالوفيـات ١٢ : ٣٩٤ ،ومما يذكره مترجمو ابن سينا : « وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات ، عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قدعلقها على اجزاء ، فضاعت قبل تمـام كتاب القانون .... » (تاريخ الحكماء: ٤٢٣ ، عيون الانباء ٢ : ٧ ، الوافي بالوفيـات ١٢ : ٣٩٩ ، تاريخ حكماء الاسلام : ٦٦) .

(٣٧) اما البيهقي فقد قال : « فكـان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وابو عبيد يقرأ من الشفاء نوبـة ، ويقرأ المعصومي من القانون نوبـة ، وابن زيلة يقرأ من الاشارات نوبة وبهمن يار يقرأ من الحاصل والمحصول نوبة ... » (تاريخ حكماء الاسلام : ٦٢) .

(٣٨) تاريخ الحكماء : ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، عيون الانباء ٢ : ٥ ـ ٦ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٦

(٣٩) الشفاء / المنطق / ١ ـ المدخل : ١ ـ ٤

(٤٠) مؤلفات ابن سينا للأب جورج شحاتة قنواتي (القاهرة ـ ١٩٥٠) .

(٤١) الاشارات والتنبيهات لأبي علي بن سينا ، مع شرح نصير الدين الطوسي (القسم الاول /ط. دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٠ م) :١٦٢

(٤٢) تاريخ حكماء الاسلام : ٦٤ ، ١٠١ ، تاريخ الحكماء : ٤٢٢، عيون الانباء ٢ : ٧

(٤٣) عيون الحكمة لابي علي بن سينا ، تحقيق عبد الرحمن بدوي (القاهرة ـ ١٩٥٤ م) ، المقدمة : يج ، وانظـر كلمة الاستاذ العقاد في ابن سينا ومشاركاتـه في جميع علوم عصره (اقرأ ـ رقم ٤٦ / سـنة ١٩٤٦ م ، ص : ١٣٢) .

(٤٤) قصة حي بن يقظان لأبي بكر بن طفيـل (حي بن يقظان / ذخائر العرب رقم ٨ ـ مصر ١٩٥٢ م) : ٥٧ ،٥٩، ٦٦ ، ويقول الشيخ الرئيس في قصته سلامـان وابسال (الاشارات والتنبيهات ، ق ٣و٤، ص : ٧٩٠ ـ ٧٩٣) : « واذا قرع سمعك فيما يقرعه ، وسرد عليك فيما تسمعه قصة لسلامان وابسال ، فاعلم ان سلامان مثل ضرب لك ، وان ابسالا مثل ضرب لدرجتك في العرفان ان كنت من اهله . ثم حل الرمز ان اطقت » ، وانظر ما كتبه الشارح الطوسي بشأن سلامان وابسـال (الاشارات ، ق ٣ و ٤ ، ص : ٧٩٠ ـ ٧٩٩) .

(٤٥) الكتاب الذهبي للمهرجان الالفي لذكرى ابن سينا :٣٨ ، ٦٦

(٤٦) الكتاب الذهبي : ٨ ، ٤١

(٤٧) تاريخ حكماء الاسلام : ٦٦ ــ ٦٧ ، تاريخ الحكماء : ٤٢٤ ، عيون الأنباء ٢ : ٨ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٩ ــ ٤٠٠

(٤٨) الزيادة بين حاصرتين من مقـدمة الشفاء لأبي عبيد (الشفاء / المنطق / ١ ــ المدخل : ٣ ، ٤) وانظـر عيون الانباء ٢ : ١٨ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠٤

(٤٩) تاريخ الحكماء : ٤٢٠ ، عيون الانباء ٢ : ٦ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٦ ــ ٣٩٧ ، وانظـر تاريخ حكماء الاسلام : ٦٢ ــ ٦٣ ،وكتاب الشفاء / المنطق / ١ ــ المدخل : ٢ ــ ٤

(٥٠) شرح عينيةابن سينا ، للسيد نعمةالله الجزائري الشوشتري (تحقيق حسين علي محفوظ ــ طهران ١٩٥٤ م) ، ديوان ابن سـينا (نشره وعلق عليه نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاهيه /الجزائر ١٩٦٠ م) . 31 ــ 35 ، وقد عني القدماء بالعينية اتم عناية ، تناقلوها في كتبهم وتداولوهـا شرحا ومعارضة وتشـطيرا وتخميسا ، انظـر كشف الظنون ٢ : ١٣٤١ ــ ١٣٤٢ ، ديوان ابن سينا : ٥ ــ٦ ، ٩ ــ١٣، عيون التواريخ لمحمد بن شاكر الكتبي (الجزء الثالث عشر ، مخطـوط ــ السنة ٤٢٨ هـ) ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ، ابن سـينا ومذهبه في النفس / دراسه في القصيدة العينية للدكتـور فتح الله خليف (بيروت ــ ١٩٧٤ م) : ١٢٩ ــ ١٧١ ، ابن سينا للدكتور جميل صليبا (دمشق ــ ١٩٣٧ م) ، المقـدمة : ثل ، الكتاب الذهبي : ١١٧ ــ١٢٠

(٥١) الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠١ ــ ٤٠٢ ، ولمـا اتهم ابن تيميةأهل المنطق والفلاسفة بالركة والعي في كلامهم لم يجد بـدا من استثناءابن سينا من بينهم فقال : « ومن وجد في بعض كلامه فصاحة او بلاغة كما يوجد في بعض كلام ابن سينا وغيره ، فانمـا استفاده من المسلمين ،من عقولهم وألسنتهم ، وإلا فلو مشى على طريقة سلفـه ، وأعرض عمـا تعلمه من المسلمين لكان عقله ولسانه يشبه عقولهم والسنتهم » (كتاب الرد على المنطقيين : ١٩٩) .

(٥٢) تاريخ حكماء الاسلام : ٦٥ ، تاريخ الحكماء : ٤٢٢ ــ ٤٢٣، عيون الانباء ٢ : ٧ ، الـوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٨ ــ ٣٩٩ ، بنج رسالـة (تهران ــ ١٣٧٣ هـ ، تحقيق احسان يار شاطر) : ٧ ، ويقول ابـن ابي اصيبعة في صفة كتاب لسان العرب (عيـون الانبـاء ٢ : ١٩) : « كتاب لسان العرب في اللغة ، صنفه باصبهان ، ولم ينقله الىالبياض، ولم يوجد له نسخة ، ولا مثله ، ووقع الـي بعض هذا الكتاب ، وهو غريب التصنيف » . وجاء في بنج رسـالة : ٧ : « كـان الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا صنف كتابـاً في اللغة سماه لسان العرب ، وجعله كتبا

عدة ، يشتمل كل كتاب منها على فنون . وهو كتاب نادر ، قد جعل له ترتيبا حسنا ، غير انه لم يتمم ، ولم يخرجه عن المسودة الى البياض ، وقـد تخطا عن حصر الالفـاظ على عادة اهل اللغـة الى الإبانـة عن مقتضياتها والفرق بين ما تقتضيه من معانيها . وقد رايت طرفا من هذا الكتاب بخطه ، مقدار مائة وثلاثين ورقة ، فما تمكنت من تحريرها ، فانتخبت منه فصولا ، ونكتا عجيبة ... » . وتجد ترجمة ابي منصور الجبان (محمد بن علي بن عمر) في معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٠ — ٢٦٢ ،

(٥٣) ينج رسالة (تهران — ١٣٧٣ هـ) : ٧ — ٨ ، وانظر كتـاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (دمشق — ١٩٧٦ م) ٤ : ٢٥٣

(٥٤) طبع المستشرق ميكائيل بن يحيى المهرني رسائل ابن سينا الثلاث ، مع سواها بعنوان : رسائل الشيخ الرئيس ابي علي الحسين ابن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة المشرقية (ليدن — ١٨٨٩ م) ، واعيد طبعها في كتاب : جامع البدائع (القاهرة / ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م) الذي تضمن ثماني عشرة رسالة ، منها اثنتا عشرة رسالـة للشيخ الرئيس . وطبعت رسالة حي بن يقظان لابن سـينا عدة طبعـات ، من افضلها طبعة هنري كربين ، وهي مشفوعة بترجمتهـا الى الفارسـية وشروح لها (ابن سينا وتمثيل عرفاني / تهـران ١٣٧١ هـ) ، وطبعة الاستاذ احمد امين ، وقد اخرج معها رسالتي حي بن يقظان لابن طفيل والسهروردي (ذخائر العرب رقم ٨ / القاهرة ١٩٥٢ م) ، وانظر مقدمة الاستاذ احمد امين (حي بن يقظان — ذخائر العرب) : ٥ ،

(٥٥) الاشارات والتنبيهات (ق ٣ و ٤) : ٧٨٩ — ٨٥٢

(٥٦) الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠٢ ، ولشدة اعجاب القدماء باسلوب ابن سينا في مقامات العارفين انتقوا منه واختاروا ، انظر حي بن يقظان (ذخائر العرب — رقم ٨) : ٥٩ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠٢

(٥٧) الاشارات والتنبيهـات (ق ٣ و ٤ / ط دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م) : ٩٠٣ — ٩٠٦ . وقوله (وكفى بالله وكيلا) هو جزء من آية ورد ثلاث مرات في سورة النسـاء ، ومرة واحدة في سورة الأحزاب . القفيّ : الشيء الذي يؤثر به الضيف . الصفا (بالفين المعجمة) : الميل . الغاغة من الناس : الكثير المختلطون . الهمج ، جمع همجة : ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير واعينهما ، ويقال للرعاع من النـاس الحمقى : انما هم همج . درّجه الى كـذا : ادناه منه علـى التدريج . الاستفراس : طلب الفراسة .

(٥٨) فلسفة ابن سينا واثرها في اوربا خـلال القرون الوسطى ، للمستشرقة غواشون ، ترجم الى العربية وطبع ببيروت (كانون الثاني ١٩٥٠ م) .

(٥٩) الاشارات والتنبيهات (ق ١ / ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠م): ١٦٢ ــ ١٦٣ ، وفي رسالة ابن بطلان الى ابن رضوان ما يشير الى هذا الأدب الذي كان يلتزمه الحكماء إزاء سابقيهم ، فقد جاء عنوان الفصل الرابع من رسالته اليه : « في أن من عادات الفضلاء عند قراءاتهم كتب القدماء الا يقطعوا في مصنفها بطعن اذا رأوا في المطالب تباينا وتناقضا ، لكن يخلدوا الى البحث والتطلب» ، (تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ١٩١) .

(٦٠) الشفاء / المنطق / ١ ــ المدخل : ١٠

(٦١) عيون الأنباء ٢ : ١٨ ، وقال ابن ابي أصيبعة في صفته :كتاب الإنصاف ، عشرون مجلدة ، شرح فيه جميع كتب ارسطو طاليس ، وانصف فيه بين المشرقيين والمغربيين ، ضاع في نهب مسعود . وانظر الوافي بالوفيات ١٢ : ٤٠٤ ، وتاريخ حكماء الاسلام : ٦٧ ــ ٦٨

(٦٢) منطق المشرقيين (القاهرة / ١٣٢٨ هـ ــ ١٩١٠ م) : ٢ــ٤، وانظر بشأن فلسفة ابن سينا المشرقية مقالة المستشرق الايطالي الاستاذ نلينو (التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية لعبد الرحمن بدوي / القاهرة ١٩٤٠ م) : ٢٤٥ ــ ٢٩٦ ، ويقول ابن تيمية (كتاب الرد على المنطقيين : ٣٦٦) : « ... وابن سينا ايضا قد يخالف الأولين [من فلاسفة المشائين] في بعض ما ذكروه ، ولهذا ذكر في كتابه المسمى بالشفاء أن الحق الذي ثبت عنده ذكره في [كتاب] الحكمة المشرقية » ، ويقول ابن خلدون (المقدمة : ٤١٢ ــ ٤١٣) : « وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء ، جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة ، كما قدمنا ، ثم لخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الإشارات ، وكأنه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ، ويقول برأيه فيها » . وانظر الكلمة الجامعة التي قالها ابو بكر بن طفيل في كتابه حي بن يقظان (ذخائر العرب ، رقم ٨، مصر ١٩٥٢ م) : ٦٣

(٦٣) الاشارات والتنبيهات (ق ٣ و ٤) : ٧٠٢ ، الحشف : أردأ التمر .

(٦٤) جامع البدائع : ١١٩ ــ ١٥١

(٦٥) تاريخ حكماء الاسلام : ١٠٢

(٦٦) عيون الأنباء ٢ : ١٢ ، خزانة الأدب للبغدادي ٤ : ٤٦٦ ، ديوان ابن سينا : ١٧ ، 73 — 81

(٦٧) تاريخ الحكماء : ٤٢٦ ، عيون الأنباء ٢ : ٩ ، فوات الوفيات ١٢ : ٤٠١